Al-Fikr Al-Siasi Al-Islami
EISSN: 2015-2783
Islamic Sciences and culture Academy
Scientific-Specialized Bi-Annual journal
Vol. 1 ● No. 1 ● Issue 1 ● Spring & Summer 2021

The Issue of Peace in the Views of Imam Musa Sadr

Sharif Lakzaei[1]

Received: 20/09/2020 **Accepted: 15/01/2021**

Abstract

Imam Musa Sadr is a thinker who has been in Lebanon for almost twenty years as the leader of the Lebanese Shiites, and his thoughts and actions are a valuable experience that we can use to solve various problems in our society. As we know, Lebanese society is a multicultural society; most of its citizens follow the religions of Islam or Christianity, and the two branches, Shiite and Sunni, as the largest religions and denominations. Given that during the presence of Imam Musa Sadr in Lebanese society, there were widespread conflicts, including civil war and the lack of political consensus for growth and development and elimination of backwardness, the question is what is the method of Imam Musa Sadr to achieve peace in Lebanon's diverse cultural and religious society? Sadr considers the problem of peace to be the greatest human problem of the twentieth century. Therefore, the answer to this question becomes more important. The author claims that based on a study of Sadr's thought and views, a set of strategies for achieving peace and resolving conflicts can be examined in Sadr's view. These strategies include the epistemological and non-epistemological dimensions and become important.

Keywords

Peace, conflict, the twentieth century, Lebanon, Sayyid Musa Sadr.

1· Associate Professor, Department of Political Philosophy, Islamic Sciences and Culture Academy, Qom, Iran. sharif@isca.ac.ir

* Lakzaei. Sh. (2021). The Issue of Peace in the Views of Imam Musa Sadr. Journal *scientific-specialized Bi-Annual*, 1(1), pp.139-161. DOI: 10.22081/ipt.2021.69674

الفكر السياسي الإسلامي
EISSN: ٢٠١٥-٢٧٨٣
مجلة علمية نصف سنوية
المجلد ١ • العدد ١ • الرقم المسلسل للعدد ١ • ربيع و صيف ٢٠٢١

قضية السلام في فكر الإمام موسى الصدر

شريف لك زائي*

تأريخ الاستلام: ٢٠٢٠/٠٩/٢٠ تأريخ القبول: ٢٠٢١/٠١/١٥

الملخص

كان الإمام السيد موسى الصدر مفكراً بارزاً وزعيماً للشيعة في لبنان على مدى عقدين من الزمن، وثمّة قيمة كبيرة لأفكاره وأدائه وتجاربه بما ينعكس على حلّ الإشكاليات المختلفة في مجتمعاتنا المعاصرة. ولا يخفى أنّ المجتمع اللبناني مجتمع متعدد الثقافات والانتماءات، فيعتنق جلّ أفراده الدين الإسلامي الحنيف والديانة المسيحية، وينقسم المسلمون فيه إلى المذهبين الشيعي والسنّي. ولما كان المجتمع اللبناني إبّان حضور الإمام موسى الصدر يعاني من نزاعات واسعة النطاق متمثلة بالحرب الأهلية وغياب الإجماع السياسي الهادف إلى تحقيق التقدم والتطور والقضاء على جميع أشكال التخلف والجهل، يتبادر إلى الأذهان السؤال التالي: ما السبيل الذي انتهجه الإمام الصدر المغيب لإحلال السلام والاستقرار في المجتمع اللبناني المتنوع ثقافياً ودينياً ومذهبياً؟ لا ريب في أنّ الإجابة عن هذا السؤال تحظى بأهمية كبيرة من منطلق أنّ الإمام الصدر اعتبر إشكالية السلام أكبر المشاكل الإنسانية في القرن العشرين. وعلى هذا الأساس وفي ضوء دراستنا لأفكار السيد الإمام وآرائه المختلفة توصلنا إلى إمكان رصد مجموعة من العناصر والسبل المهمة الكفيلة بتحقيق السلام والقضاء على النزاعات في رؤية هذا الإمام، بحيث تشتمل على أبعاد معرفية وغير معرفية.

الكلمات المفتاحية

السلام، النزاعات، القرن العشرون، لبنان، السيد موسى الصدر.

* أستاذ مشارك في قسم الفلسفة السياسية في المعهد العالى للعلوم والثقافة الإسلامية. sharif@isca.ac.ir

* لک زائی، شریف. (٢٠٢١). قضية السلام في فكر الإمام موسى الصدر. الفكر السياسى الاسلامى، ١(١)، صص ١٣٩-١٦١. DOI: 10.22081/ipt.2021.69674

مقدمة

تعتبر قضية السلام من أهمّ القضايا المتعلقة بأبحاث الفلسفة السياسية التي بُحثت بدقة في العصر الحالي، ومع ذلك لم يلاقِ هذا الموضوع اهتماماً كافياً من المفكرين المسلمين، ولكن لو تأملنا في التعاليم الدينية التي يستند إليها هؤلاء المفكرون، لا سيما الفلاسفة المسلمين (لكزائي و كيخا، ٢٠١٨)، فلنا أن نقول: إنّ أغلب التعاليم الدينية والفلسفية والفقهية تدلّ على قضية السلام، في حين أنّ المفكرين المسلمين لم يتطرقوا إلى هذا الموضوع في سياق قضية السلام، ولم يسلطوا الأضواء على أبعادها من زواية التعاليم الثلاثة المتقدمة. من هنا، أخذت هذه المقالة على عاتقها بحث هذا الموضوع من خلال الرجوع إلى آراء الإمام موسى الصدر، وطرحت سؤالاً حول السبل التي انتهجها لإحلال السلام وقطع دابر النزاعات. وبقطع النظر عن السبل المعرفية التي ذكرها السيد الصدر، فإنّ هناك سبلاً غير معرفية واجتماعية جديرة بالاهتمام وحظيت باهتمامه أيضاً، ومن الممكن أن يستفاد من هذا الموضوع بصورة خاصة في الأجواء الثقافية اللبنانية المتّسمة بالتنوع والتعدد، كما أنّ بوسعه بيان الأبعاد المختلفة لقضية السلام وإبداء صورة واضحة عن السبل الكفيلة بحلّ النزاعات. وعلى هذا الأساس، فالمقالة التي بين أيدينا تبحث آراء الإمام موسى الصدر حول هذا الموضوع عبر منهج المنطق الداخلي، وتتناول أبعاد هذه القضية باعتبارها مدخلاً لموضوع إحلال السلام وتسوية النزاعات في فكر هذا الإمام.

السلام مشكلة القرن العشرين الكبرى

شدد الإمام موسى الصدر على أنّ السلام هو مشكلة القرن العشرين الكبرى (الصدر، ٢٠٠٤ م، ص ١٣١)، ثم عمد إلى بحث الأسباب المؤدّية إلى بروز هذه المشكلة، وباختصار يمكن اعتبار العامل الرئيس في هذا المجال عبارة عن تحول "حبّ الذات" إلى "عبادة الذات". وقد أشار الإمام الصدر إلى نقاط مهمة جداً في

معرض تحليله لهذا الموضوع، فقال:

"حبّ الذات وهو وقود الكمال للإنسان ومحقق طموحه، وعندما تنمو بالفرد عبادة الذات تبدأ المشكلة. إنّ التصادم والتمييز العنصري واحتقار الآخرين، والصراع المرير في خلايا المجتمع من العائلة إلى المجتمع الدولي، إنّ كلّ هذا صراع متفاوت الحلقات محور الدوائر واحد والاتساع يتفاوت. هذا الصراع الذي اعتُبر جزءاً أساسياً من التكوين جاء نتيجة لتحوّل حبّ الذات إلى عبادة الذات، وكذلك عندما ننظر إلى الأنانية في الجماعة، فالجماعة تكوّنت لخدمة الإنسان، وهو الموجود المدني الجماعي بطبعه، وهو الموجود ذو البعدين الشخصي والجماعي، والإنسانية هنا موسَّعة، والمشكلة تظهر في أطر مختلفة، فمن الأنانية الذاتية إلى الأنانية العائلية التي عانى الإنسان شرورها، الى القبَلية الطاغية التي أصبحت في فترةٍ نظاماً ذا آثار ونتائج، إلى الطائفة التي حوّلت بأنانيتها السماء إلى الأرض، وأفرغت محتوى الدين والمذهب، وقضت على سموّها ورفقها وتسامحها. هذه الطائفية التي تاجرت بالقيم الروحية فأخذت منها أثماناً متفاوتة. والوطنية أيضاً، رغم كونها أشرف الأحاسيس، فعندما تتحول إلى الوطنية العنصرية يكاد يحسّ المرء بأنّه يعبد وطنه من دون الله، عند ذلك يسمح لنفسه بأن يبني مجد وطنه على أنقاض أوطان الآخرين، وأن يصنع حضارته بتدمير حضارة الآخرين، ويرفع مستوى شعبه على حساب إفقار الشعوب الأخرى. هذه الأنانيات الموسعة كانت أحاسيس بنّاءة، فنمت وتحولت الى نكال ودمار؛ لذا، فحبّ الذات والبرّ بالأهل وحبّ العشيرة وحبّ الوطن والانتماء القومي كلّها نزعات خيّرة في حياة الإنسان إذا بقيت ضمن حدودها الصحيحة" (الصدر، ٢٠٠٥م، صص ٢٠- ٢١).

ومن هنا نجده ينتقد ما جاءت به الحضارة الغربية التي جعلت الإنسان ينمو في اتجاه على حساب الاتجاهات الأخرى وبصورة غير متّسقة، معبّراً عن ذلك بـ "السلام المسلح"، حيث أصبحت حياة الإنسان كلّها متأرجحة بين الحروب الساخنة والباردة (انظر: الصدر، ٢٠٠٥م، ص ٢٠).

وعلى هذا الأساس، فالأنانية وحبّ الذات أهمّ أسباب النزاعات والحروب من وجهة نظر الإمام الصدر، والحال أنّه يمكن لحبّ الذات أن يشكل قاعدة لكمال الإنسان وهدايته إلى الله تعالى، لكنّه لا ينفكّ عن هذه المشاكل لأنّه ممزوج بعبادة الذات.

وكيف كان، فالإمام الصدر كان بصدد إحلال السلام العادل (انظر: الصدر، ٢٠٠٥م، ص ٢٤٨) لا السلام المسلح ولا المؤقت، حيث تتجلى هنا أهمية الهدف المنشود من السلام، ففي الحقيقة لا بدّ له من أن يتمكن من تقريب الإنسان إلى الكرامة والحرية والرحمة، وبهذا تبرز أهمية الإيمان والعقيدة في هذا الخصوص. قال الصدر: "السلام المحترم هو الناشئ من العقيدة والإيمان؛ إذ لو كان الهدف من السلام تقييد حركات التحرر ووقف حراك الشعوب من أجل النجاة والخلاص فسوف يؤدي إلى حرمان المظلومين من حقوقهم، وحينئذ لا يكون مؤثراً؛ لأنّه يرمي إلى سلب القدرة الإنسانية من الأفراد والمجتمعات" (الصدر، ٢٠١٧م، ج٤، ص ٥٧). وعليه، ينبغي أن يكون السلام قادراً على تعزيز قدرة المجتمعات وإعادة حقوق المظلومين إليهم.

أما السلام المسلح فهو تعبير لبيان الوضع الذي آل إليه المسلمون، وقد عبّر الصدر في موضع آخر عن هذا النوع من السلام بالمؤقت، ذاهباً إلى وجود سببين أساسيين وراء نشوب الصراعات وظهور النزعة الاستعلائية في المجتمعات، هما محدودية الهدف والمادة في الكون من جهة وعدم محدودية طموح الإنسان من جهة أخرى، فقال: "هذان (التظاهر والصراع) يتحولان إلى صلح مؤقت بين أفراد الطبقة أو الشعب لأجل استثمار سائر الفئات أو الطبقات" (الصدر، ٢٠٠٥م، ص ٦٩). ومن هذا المنطلق وفي ضوء محدودية المادة وطموح الإنسان، فهو يرى "أنّ تاريخ الحضارة الحديثة يتلخص في السعي الدائم العملي الفكري للاستثمار، وفتح الأسواق والاقتصاد، والاستعمار، فالحروب الإقليمية، ثم القارية، ثم الكونية، ولأجل التحضير للحرب، وسباق التسلح، وفرض الإرادة والظلم،

وإراقة الدماء" (الصدر، ٢٠٠٥م، ص ٦٩). ومن هنا، فإنّ أساس الحضارة المادية للغرب غير دينية؛ لأنّها قائمة على أساس الظلم والاستعمار والاستثمار لباقي الأمم والشعوب. وفي المحصلة، فإنّ الإمام الصدر ومن منطلق رؤيته الإسلامية والإنسانية والأخلاقية مناهض لهذه الحضارة ومنتقد لها؛ لأنّها لم تجنِ سوى السلام المسلح والمؤقت.

ثم تساءل السيد الصدر هل يستطيع الإسلام أن يعالج مشكلة القرن العشرين الكبرى؟ (الصدر، ٢٠٠٤م، ص ١٣١). وقبل الإجابة عن هذا السؤال، أشار هذا المفكر إلى نقطتين: الأولى هي أنّ السلام اسم من أسماء الله الحسنى؛ ولذا قيل: "فهو سبحانه السلام، ومنه السلام، وإليه يعود السلام". والثانية أنّ الإسلام أمر أتباعه بالسلام عموماً. وفي ضوء هاتين النقطتين شدد الإمام الصدر على قدرة الإسلام على حلّ هذه المشكلة الكبرى (انظر: الصدر، ٢٠٠٤م، ص ١٣١).

إذا ما وافقنا على جواب هذا المفكر فحينئذ يتبادر إلى أذهاننا السؤال التالي: كيف يتحقق هذا الأمر؟ وكيف يستطيع الإسلام إرساء قواعد السلام؟ بيّن الإمام الصدر جواب السؤال عن طريق مسألة فلسفية، فهذا الجواب في حقيقة الأمر من خارج الدين ومستند إلى رؤية فلسفية تؤيدها التعاليم الدينية:

"الكون- هذا المحراب الكبير للسجود والتسبيح لذات الله-، والمجتمع- هذه المجموعة المنوعة المترابطة من بني الإنسان-، والإنسان- هذا الموجود الممتاز-، كلّ منها مخلوق لله، موصوف بصفة السلام الإلهي، وكلّ منها نموذج عن الآخر. فالسلام الكوني والسلام الفردي يعطيان نهجاً منطقياً عن السلام العالمي، فالاختلاف في العنصر والرأي والإنتاج في المجتمع العالمي يجب أن نعترف به ونعتبره كمالاً له وجمالاً فطرياً يسهل التعارف والتعاون والتكامل والوحدة. هذا الاختلاف، وبتعبير أوضح: هذا التنوع، يتجلى بشكله ونتائجه في جسم الإنسان وفي الصورة التي يعطيها الإسلام عن الكون. فلا سلام بلا تنسيق الجهد الثقافي ووحدة الخطة العامة، ولا سلام مع الرغبة في فرض وحدة الأنظمة والآراء

والإنتاج والعناصر" (الصدر، ٢٠٠٤م، ص ١٣١، ص ١٣٢).

هذا الكلام في حقيقة الأمر ناظر إلى القاعدة الفلسفية المعروفة "الوحدة في عين الكثرة والكثرة في عين الوحدة"، فمن وجهة نظره لما كان السلام مودعاً في الكون والخلقة وفي فطرة الإنسان، وبما أنّ التعاليم الإسلامية تدعم هذا التوجه، لا يمكن للتعدد حينئذ أن يشكل عاملاً لإلغاء السلام، فالاختلاف والتنوع طريق لمعرفة الذات ولارتقاء مسيرة التكامل الإنساني ولبلوغ السمو وتحقيق السلام، وليس عاملاً للخلاف والنزاع. ومن هنا، لطالما أشار في مباحثه إلى مبدأ اعتمده في حياته هو "مبدأ قبول الاختلاف والتنوع" الذي يستلزم جهداً ثقافياً مناسباً ومنسجماً ليتسنى إرساء قواعد السلام عبر اتخاذ منهج موحد وشامل. وفي الحقيقة ما يحدث عبارة عن القبول بالاختلاف، ومن ثم التأكيد على القواسم المشتركة التي تعزز أواصر الارتباط بين الناس وتستطيع دفع المجتمع نحو السلام.

السلام في منظور الإمام الصدر

لم يخض الإمام الصدر في تفاصيل البحث المفهومي للسلام، بل أشار له بشكل مجمل فقط، فهو يعتقد بأنّ السلام مشتقّ من المادة "سلم"، وكذلك الإسلام مشتقّ منها، وشدد على أنّ الله سبحانه وتعالى هو السلام. وعلى هذا الأساس، فقد اعتبر السلام عبارة عن المحبة والسلم دون أن يضيع وقته في المباحث المفهومية المطولة؛ ولذا يمكن القول: أينما تحققت المحبة والسلم وُجد السلام أيضاً؛ إذ لا يتحقق السلام ولا يدوم بدون سلم ومحبة، وهذا يستدعي مزيداً من الاهتمام بدوام بقاء السلام والمحبة والسلم جنباً إلى جنب.

وعلى الرغم من أنّ السلام يستعمل عادةً إزاء الحرب أو بمعنى انعدام الحرب، لكنّه اليوم يعرَّف على أنّه: "الحالة التي يعيش فيها أفراد البشر مستقرين سالمين آمنين محترمين" (خداخواه، ٢٠١٩م، ص ٤٩). ولربما أمكن القول: بما أنّ الإمام الصدر يرى أنّ مشكلة القرن العشرين تكمن في السلام، يبدو أنّه كان بصدد أن

يتمتع أفراد البشر بحياة مستقرة وسليمة وآمنة ومحترمة، وهذا ما كانت لبنان بحاجة ماسّة إليه في عهد الإمام المغيب. ومن هذه الزاوية كان ينظر إلى وظائف الدين في المجتمع الراهن، ويرى أنّ أهمّ خصائص الأديان الحدّ من الآلام والأوجاع التي يعاني منها الناس في حياتهم، فعمد إلى جعل الأديان في خدمة الإنسان لتتمكن من التقليل من آلامه الداخلية والخارجية، وخلق بيئة آمنة ومستقرة لبني البشر.

في بعض الموارد نرى أنّ الإمام الصدر فسّر السلام بطريقته الخاصة، وهو أنّه بمقتضى التعاليم القرآنية ينبغي هداية الإنسان إلى سبل السلام والاستقرار، فأشار هنا إلى معنى عام وواسع للسلام هو أنّ السلام والاستقرار يمثلان النقطة المقابلة للحرب والصراع بين الإنسان ونفسه، وبينه وبين الآخرين، وبينه وبين سائر الموجودات (انظر: الصدر، ٢٠١١م، ص ١١٣). ففي حقيقة الأمر الإنسان في صراع داخلي مع نفسه وصراع خارجي مع غيره من البشر والموجودات الأخرى؛ ولذا لا بدّ له من بلوغ الاستقرار والسلام، لكنّ السؤال هو كيف يحقق الاستقرار والسلام؟

أجاب الإمام الصدر قائلاً: "يتحقق الاستقرار حينما يقوم الإنسان بدوره الطبيعي بصورة منسجمة مع باقي الأدوار في الكون؛ لأنّ كلّ دور مكمل للأدوار الأخرى ويكتمل بها أيضاً، وهذا التبادل في التكامل هو حقيقة الاستقرار المنشود، والسبيل إليه يكون عن طريق التعاليم الإلهية التي جاء بها الأنبياء إلى البشر" (انظر: الصدر، ٢٠١١م، ص ١١٤). وبهذا يتّضح أنّ تعاليم الأنبياء الإلهيين ينبغي أن تكون قادرة على جلب الإنسان إلى سبل السلام والاستقرار.

نعم، ربما يمكن المناقشة في اعتبار السلام حالة معينة؛ ولذا قد يمكن القول: إنّ حكماء الحكمة المتعالية- وإن كانوا بصدد التمهيد لمثل هذا السلام- يرون أنّه يتحقق بشكل مرحلي وبصورة تدريجية؛ من باب أنّهم يرون الإنسان في مسار الصيرورة، وبذلك يتبيّن أنّ رؤيتهم للموضوع فيها نوع من المرحلية. ولا يخفى أنّ تحقيق حالة السلام يمكن أن تكون نتيجة وحصيلة للصيرورة، وحينها يكون لها

وجه مشرق ومتقدم دائماً. ومن هذا المنظور يمكن اعتبار السلام نحواً من الجهاد حيث يكون الإنسان على الدوام باذلاً للجهد بغية أن يتمكن من تحقيق السلام المنشود.

النقطة الأخرى المتفرعة على النقطة السابقة التي ينبغي الإشارة لها هي أنّ "السلام لم يعد ظاهرة بين الدول فقط، بل بين أفراد البشر وبين المجاميع البشرية أيضاً" (خداخواه، ٢٠١٩م، ص ٤٩). وعلى هذا الأساس، فما ذكرنا قبل قليل حول تفسير السلام يدلّ على هذه النقطة. على أنّ رؤية الإمام الصدر أكثر شمولاً واستيعاباً، حيث أخذت بنظر الاعتبار الصراع بين الإنسان ونفسه وبينه وبين سائر الموجودات أيضاً. وفي ضوء ذلك، يمكن إخضاع بعض ممارسات السيد الصدر في المجتمع اللبناني إلى التحليل، حيث كان يسعى إلى إحلال السلام بين جميع الفئات والطوائف اللبنانية البالغة سبعة عشر طائفة. لكن طبقاً لما هو موجود في أدبياتنا العرفانية يجب أن نقول: إنّ السلام الأساسي لا بدّ أن يتحقق داخل الإنسان نفسه، ثم يتّسع ليشمل ما بين الناس أيضاً. وبهذا يتبيّن أنّ السلام الذي لم يعد في عصرنا الراهن مقتصراً على السلام ما بين الدول فقط يمكن مشاهدته في أفكار الإمام موسى الصدر وممارساته العملية أيضاً.

كما أنّ الإمام موسى الصدر فسّر السلام بالمحبة، ومن بين المفكرين المعاصرين الذين يشاطرونه هذا المفهوم للمحبة ويؤمنون بالتلازم بين السياسة والمحبة من جهة والسلام من جهة أخرى هو المفكر جاك دريدا، ويُعتقد أنّ دريدا "بتقديمه قراءة جديدة لمفهوم المحبة وبيان ارتباطها بالسياسة قد فتح أفقاً جديداً أمامنا يمكن التعبير عنه بأساس السلام والحياة الديموقراطية" (عزيز اللهي، ٢٠١٩م، ص ٥٧). بيد أنّ الإمام الصدر أدرك ضرورة التلازم بين المحبة والسلام وتحدّث عن ذلك قبل خمسة عقود على أقلّ التقادير، وما ذلك إلا ليتمكن من وضع أساس للتعايش السلمي في لبنان الذي عصفت به الطائفية، والاستفادة من طاقات الطوائف المختلفة المتواجدة هناك؛ من أجل النهوض بالواقع الإنساني والاجتماعي آنذاك.

بناء على ذلك، مزج الإمام موسى الصدر بين السلام والمحبة، وكأنّه لا وجود للسلام من دون محبة، وإن وجد في هذه الحالة فلن يكون راسخاً ومستداماً، بل يؤدي بحسب تعبيره إلى ظهور "السلام المسلح" و "السلام المؤقت". ومن هنا، فالسلام بمعنى المحبة له تميز خاص في كلام هذا المفكر، ويبدو أنّه يرى عدم إمكان تحقق أيّ منهما وظهوره في المجتمع دون الآخر، فتحظى المحبة بأهمية كبرى من هذه الزاوية.

فضلاً عن لزوم الالتفات إلى التعددية والاختلافات، فإنّ المحبة التي تعدّ من العناصر المحورية في الفلسفة السياسية تكتسب أهمية قصوى من حيث قدرتها على تحقيق السلام في المجتمع، ويعتبر الإمام موسى الصدر من المفكرين القلائل الذين تطرقوا إلى قضية السلام وبحث المحبة في آنٍ واحدٍ، ولذا فقد تحدث عن ضرورة الترابط بينهما وأشار إلى لزوم بذل ما في الوسع لتحقيق ذلك (انظر: الصدر، ٢٠٠٥م، ص ٨٣). وفي هذا الخصوص، أورد رواية عن السيد المسيح عليه السلام بأنّه كان يصرخ منادياً: "لا.. لا يجتمع حبّ الله مع كره إنسان" (انظر: الصدر، ٢٠٠٥م، ص ١٦).

وعلى هذا الأساس، إذا تجذرت المحبة في المجتمع يمكن التفاؤل بتحقق السلام فيه، كما يمكن القول: إنّ فقدان المحبة قد يؤدي إلى اندلاع الحروب والنزاعات والعنف، على أنّ الحروب والنزاعات- مهما كانت مستوياتها- تعدّ من الأمور الطارئة على المجتمع، ومثلما أشار الإمام الصدر فإنّ الأولوية في المجتمع للسلام والمحبة، والحرب من الأمور المفروضة على المجتمع دون إرادته، ويرى هذا المفكر بأنّ الإسلام باللحاظ المفهومي يرجع إلى السلام؛ ولذا فإنّ الاهتمام بالتعاليم الإسلامية من شأنه صناعة السلام والحفاظ عليه، ولكن لا بدّ من الالتفات إلى أنّه لا وجود للمحبة في المجتمع الطائفي؛ لأنّ كلّ طائفة وفرقة تسعى إلى الاستحواذ على مزيد من الإمكانيات والثروات، وهو ما قد يعرّض السلام والمحبة إلى المخاطر، والحال أنّ الإمكانيات محدودة والاحتياجات غير محدودة

حسبما عبّر الإمام المغيب. ولا ريب في أنّ النظام الثقافي والسياسي الطائفي لا ينظر سوى إلى كرامة عدد محدود من الناس، والممارسات الطائفية تهتمّ بطائفة معينة من الناس فقط؛ وبهذا لا تتحقق المحبة المدنية في مثل هذه الأنظمة الطائفية، والحال أنّ هذه المحبة قادرة على المساعدة في مجال إحلال السلام.

ويعدّ الحوار من العناصر المهمة الدخيلة في تحقيق السلام بنظر الإمام موسى الصدر، حيث أشار أحد الصحفيين في مقابلة له مع الصدر إلى أنّ صحيفة "Fraternité Matin" عبّرت عنه بـ "رجل سلم ورجل حوار"، وهذا ما يتلاءم جيدًا مع فكر رئيس المحطة التي يعمل فيها الصحفي "فيليكس افوي بوانييه". ثم سأله هذا الصحفي: ماذا يمثّل السلم والحوار في الدين الإسلامي؟ فأجاب الصدر قائلاً: "يكفي لتوضيح موقف الإسلام أن نقرأ آيتين: آية حول السلام وآية حول الحوار. الآية الأولى: ﴿**قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ**﴾ (المائدة، ١٥- ١٦)، معنى الآية أنّ جميع رسالات السماء والكتب الإلهية جاءت لهدفين؛ الهدف الأول، إشاعة السلام. والهدف الثاني، خروج الناس من الظلمات إلى النور، أي من ظلمات الجهل أو المرض أو الفقر أو التخلف إلى نور التقدم والعلم والعلاج والصحة. الآية الثانية عن الحوار: ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**﴾ (آل عمران، ٦٤)، يعني بأهل الكتاب، اليهود والنصارى. وهذه الآية تعني أنّ هناك رفضًا للاستعمار السياسي والإمبريالية. كما تعني عدم هيمنة البعض على الآخرين ثقافياً وفكرياً، كما أنّ الحوار يعني المساواة بين كلّ الأطراف من أجل الوصول إلى حلّ للمشاكل، فالحوار في الإسلام جاء كي يسود السلام وليس أيّ شيء آخر غيره" (الصدر، ٢٠١٧م، ج٩، ص ٩٣).

يتّضح من كلام الإمام الصدر حول الآية الأولى أنّ الهدف الأساس من

رسالة الأنبياء الإلهيين هو بسط السلام في الأرض، والهدف الآخر عبارة عن هداية الإنسان وإخراجه من الظلمات إلى النور، وقد فسّر الهدف الثاني- الإخراج من الظلمات إلى النور- بتوفير الأرضية المناسبة لإحلال السلام والصلح؛ ولذا فمراده هو خروج المجتمعات من ظلمات الجهل والفقر والمرض والتخلف والأوساخ والكسل والظلم والتجاوز وكلّ أنواع الظلام، فبما أن السلام يقوم على صفاء القلب والعقل ونبذ الشحناء التي من شأنها إيلاد الفساد فهذا يعني ارتباط السلام الوثيق بالتسامح، وهو ما يؤدي إلى نور العلم والرفاه والصحة والتقدم والنظافة والجهد والعدل والمساواة وكلّ أنواع النور. وإذا لاحظنا كلّ ذلك "نعرف أنّ الأساس لكلّ سعي وتقدم في حقول الدين والاجتماع والعلوم إنّما هو تحضير الأرضية، إنّما هو في توفير السلام" (الصدر، ٢٠١٧م، ج٥، ص ٣٣٣). وخلص إلى القول: "فلا خير مع التفرّق والخلافات على صعيد المجتمعات، كما وأنّ الخير في الفرد- أيّ خير كان، علماً أو سمواً روحياً أو تربية- بحاجة إلى وجود السلام في النفس" (الصدر، ٢٠١٧م، ج٥، ص ٣٣٣).

شرط صناعة السلام

إنّ تأكيد الإمام موسى الصدر على التغييرات الباطنية والأساسية للإنسان يكشف عن جانب مهمّ من سبل تحقيق السلام، لكن في الوقت نفسه لما ذكر أنّ الهدف محدود والطلب غير محدود كيف يمكن الوصول إلى الطرق الكفيلة بحلّ النزاع؟

من جملة النتائج المترتبة على كون الهدف محدوداً والطلب غير محدود أنّ "التظاهر والصراع يتولدان في المجتمعات بشكل طبيعي، باعتبار أنّ الغاية الوصول إلى أكبر كمية من المادة، وأكبر درجة من الارتزاق" (الصدر، ٢٠٠٥م، ص ٦٩).

والسؤال المتبادر هنا هو كيف يمكن للإنسان إدارة هذا التظاهر؟ يرى الإمام موسى الصدر أنّ هذا التظاهر في الحضارة الحديثة يدار بحيث يخدم الفئات

والشرائح المتميزة، فقال في هذا المجال: "هذان (التظاهر والصراع) يتحولان إلى صلح مؤقت بين أفراد الطبقة أو الشعب لأجل استثمار سائر الفئات أو الطبقات.

صلح مؤقت بين أفراد الطبقة لأجل استثمار سائر الطبقات، أو صلح مؤقت بين أفراد الشعب، لأجل استعمار سائر الشعوب، وهذا الاستثمار وذلك الاستعمار بحاجة إلى تهيئة وتحوير وملابسات ونتائج.

وهكذا نرى أنّ تاريخ الحضارة الحديثة يتلخص في السعي الدائم العملي الفكري للاستثمار، وفتح الأسواق والاقتصاد، والاستعمار، فالحروب الإقليمية، ثم القارية، ثم الكونية، ولأجل التحضير للحرب، وسباق التسلح، وفرض الإرادة والظلم، وإراقة الدماء، ثم عند انتهاء الحرب ضماد الجروح، وفترة النقاهة والاستراحة، ثم تقسيم مناطق النفوذ، ثم التحضير للحرب الجديدة" (الصدر، ٢٠٠٥م، ص ٦٩).

ومن هنا، يتبيّن أنّه لا يمكن حلّ هذا النزاع بصورة دائمية، لفرض استمرار الصراع من أجل السيطرة على الثروات، ولا سلام إلا السلام المؤقت المنسجم مع مصالح الشرائح المتميزة، والحال أنّ السيد الصدر طرح رؤية أخرى لحلّ هذه القضية قائمة على أساس الاهتمام بالمبادئ والقيم: "القيم وحدها تجمع وتوحد، ومع التوجه لحياة القيم يولد السلام في الآفاق وفي الأنفس، في السماء والأرض والناس" (الصدر، ٢٠٠٥م، ص ٢٢٨).

ثم اعتبر التضحية من أهمّ أسباب تحقق السلام وقال:

"الآيات الكريمة تأمرنا بالتضحية ليولد السلام والحبّ والقيم، وتأمرنا بالتضامن الوطني التامّ لنصون وطننا وجنوبنا الحبيب المهدد، ولكي نصون كلّ ما نملك أمام الأخطار المحدقة بنا، ولنحمي ظهر أشقائنا الذين أبوا إلا أن يأخذوا السلام العادل الشريف، لا ليُعطَوا السلم الإسرائيلي المشبوه" (الصدر، ٢٠٠٥م، ص ٢٢٩).

ونوه الإمام الصدر بأنّ المجتمع لا يستطيع أن ينعم بالسلام والاستقرار إلا في حال لم يكن هدفه هدفاً مادياً صرفاً (انظر: الصدر، ٢٠٠٥م، ص ٨٤).

يبدو أنّ ما ذكره الصدر لإجراء الحوار بوسعه أنّ يشكل شروطاً تمهيدية لتحقيق السلام وحلّ النزاعات بين الأطراف المتصارعة، فإنّ تحقيق السلام وتسوية النزاعات وفصل الخصومات بحاجة إلى الحوار، والحوار بحاجة إلى شروط ومقومات، أولها تبادل الاحترام والثقة، فلا يمكن تحقيق أيّ نوع من أنواع السلام بالإكراه والإجبار، وكذلك لا يمكن تسوية أيّ نزاع بالقوة ومن خلال ممارسة الضغوط، بل السلام يتحقق عبر الاحترام والثقافة المتبادلين بين الطرفين. نعم وكما ذكرنا في موضع آخر، فإنّ الحرية والعدل والأمن تتصدر تلك الشروط والمقومات (مدخل إلى الفكر السياسي للإمام موسى الصدر). وقد تحلّ المحبة في نهاية المطاف فتطغى على كلّ شيء وتساعد على إرساء دعائم السلام. وفي الحقيقة، إذا عمّت المحبة المدنية تتحقق جميع المقومات ويسود السلام.

الجانب الآخر لولادة السلام هو أنّه يرتكز إلى قواعد وأسس، حيث ذهب الإمام الصدر إلى أنّ السلام لا يتحقق كيفما اتفق، ولا يمكن التصالح على أيّ قضية، بل للسلام والصلح آداب وشروط معينة: "فالإسلام إذا ساوم على عملية الله ما بقي له شيء؛ لأنّ هذه هي القاعدة الحجر الأساس. ففي قضية الله لا مساومة، ولا يمكن أن يتنازل النبيﷺ عن أساس وجود الدعوة. فإذن، في هذا الحقل لا يمكن أن يناقش النبي، إنما إذا الجماعة كان لها دينها وللنبي دينه حينئذ يمكن في الحياة العادية، في الحياة الاجتماعية، في بعض الحالات يكون تعاقداً وتعايشاً، أما إنكار الأساس أو التنازل عن الأساس فهذا غير وارد" (الصدر، ٢٠١١م، ص ٣٩٢؛ الصدر، ٢٠١٧م، ج١٠، صص ٢٤٩- ٢٥٠).

ففي الحقيقة هناك طريقان من المصالحة اقترحهما المشركون على الرسول الأكرمﷺ فنزلت سورة الكافرون المباركة بتعبير عنيف لا مساومة، ولا حلّ، ولا تفويض، ولا مفاوضة ولا اعتراف. وعلى هذا الأساس، شدد الإمام الصدر على أنّ للموقف الصريح الوارد في هذه الآيات أثراً تربوياً، وهو أنّ السلام والتعايش السلمي وأنّ المصالحة وأيّ مفاوضة يجب أن يكون لها قواعد وأسس

معينة، وإلا فلا يمكن القبول به، وفي هذا السياق أكد السيد الصدر على أنّ "السورة رفض للمصالحة المقترحة من اللجنة العالمية الموجودة في وقتها، هذا هو شأن نزول سورة الكافرون" (الصدر، ٢٠١٧م، ج١٠، ص ٢٤٩).

وفضلاً عما تقدم، فقد أشار الإمام الصدر في محاضراته وحواراته بصورة خاصة إلى أنّه لا يمكن احتواء النزاعات إلا من خلال ثلاثة أمور: الإيمان المطلق، والقرب من الله اللامتناهي، والإيمان بالغيب. هذه الرؤية ناجمة عن الالتفات إلى طموح الإنسان من جهة ومحدودية الوسائل والإمكانيات من جهة أخرى، فقال في هذا المجال:

"إنّ مشكلة الطموح اللانهائي في الإنسان، مع نهاية وسائل تحقيق الأهداف، هي أساس الصراع الدائم بين الأفراد وبين الجماعات، فالإنسان لا يقتنع بما يمتلك، ووسائل الإنتاج محدودة عنده. وهنا يحصل الصراع المستمر، ولا تحلّ المشكلة إلا بتوجيه الطموح البشري نحو اللانهاية، لكي لا يموت الطموح ولكي لا يحصل اكتفاء دون صراع، لأنّ هناك نقطتان: إما أن نحدّ من طموح الإنسان، وإما أن نفتح له طريقاً لا نهاية لها حتى يتمكن من السير الدائم. فإذن، الطموح وبقاء الطموح شرط أساسي لبقاء الإنسان" (الصدر، ٢٠٠٥م، ص ٣٧).

ومن هذا المنطلق، أشار الصدر إلى ثلاثة حلول كفيلة بعدم خلق الصراع والمشاكل في مجتمعاتنا، هي:

١-الإيمان المطلق.

٢-أن يجعل الإنسان غايته الكسب من المطلق قدر المستطاع.

٣-الإيمان بالغيب الذي يوسع مفهوم الإنسان عن نفسه، لأنّه يربطه بمالك الموت والحياة.

ثم أردف السيد الصدر قائلاً: "فما دمت أنا معلول لله، ومخلوق لله، فإذن أنا من الله ومنسجم مع الله، فلا أموت وأنا أخلد وأكون خالداً. فالإنسان المؤمن بالله يرى نفسه خالداً، يملك حياة مادية، هذه الحياة ملك الإنسان، ولا يمكن

انتزاع الخلود من الإنسان" (الصدر، ٢٠٠٥م، ص ٣٧).

النقطة الجديرة بالاهتمام هي أنّ الفلاسفة المسلمين غالباً ما يركزون على القانون والمشرّع والمنفّذ لهذا القانون في حلّ النزاعات الاجتماعية، بينما نرى الإمام الصدر يضع الشروط الداخلية والباطنية والعقائدية في صدر سلّم أولوياته ويجعل الأمور الأخرى كالقانون في المراحل التالية. وعليه، فالأولوية عبارة عن إصلاح الأفعال الداخلية والمعرفية والأخلاقية للإنسان، كما بوسع القانون أن يكون مؤثراً من خلال الإشراف على الأشخاص من الخارج.

يضاف إلى ذلك أنّه يمكن تصنيف الأمور الثلاثة المتقدمة كأصول وقيم؛ ولذا قال الإمام الصدر: "مع التوجه لحياة القيم يولد السلام في الآفاق وفي الأنفس، في السماء والأرض والناس" (الصدر، ٢٠١٢م، ص ١٦٧). على أنّ تفسير الصدر للقيم لا بدّ أن يعدّ تفسيراً موسعاً جداً؛ لأنّ الأصول والقيم تنطوي على مساحة واسعة جداً فتشمل الحرية والعدل والمحبة وخدمة الناس والإيثار والتضحية وما إلى ذلك. المهم أنّ القيم تضفي على حياة الإنسان مزيداً من الحيوية، وقد يكون السلام أحد نتائجها. ولا تخفى هنا أهمية فهم القيم أيضاً؛ إذ قد يفسّر الجهاد وفقاً لبعض الآراء بجزّ رؤوس الأبرياء، وبالدفاع عن المظلومين ومقاتلة الظالم طبقاً لرأي آخر، ورؤية الصدر- حسبما يستفاد من آرائه وتصريحاته- من قبيل التفسير الثاني؛ حيث شدد على إحلال السلام ونشر المحبة وبسط القيم بما يمكن أن يؤول إلى اللحمة الوطنية المتكاملة (انظر: الصدر، ٢٠٠٥م، ص ٢٤٧). وعلى هذا الأساس، أبدى الإمام الصدر اهتمامه ببعض الحروب باعتبارها حروباً تحررية، وكانت له رؤية إيجابية تجاهها، وتطرق في بعض الموارد إلى بيان شروط الحرب في الحضارة الإسلامية.

الشرط المهمّ الآخر الذي له دور جوهري في إحلال السلام وتسوية النزاعات من وجهة نظر الصدر هو المساواة، فأيّ فكرة لا تدعو إلى المساواة وترى أنّها أفضل من باقي الأفكار لا يمكنها التحرك صوب تحقيق السلام مطلقاً،

وسوف تنطوي ذاتها على النزاع والصراع. الإمام الصدر يرى اليهود من هذا القبيل، فلطالما واجهوا كثيراً من المحن والمصائب في حياتهم لأنّهم يعتبرون أنفسهم أفضل من الآخرين، فقال في هذا المجال: "نرفض اعتبار أحد فوق أحد. كلّ الناس سواسية كأسنان المشط. لا نريد التفوق على أحد، ولا نقبل أن يتفوق علينا أحد" (الصدر، ٢٠١٧م، ج١١، ص ٢١٤). وكان خطابه موجهاً إلى المجاميع والفِرق التي سببت عدم الاستقرار في المنطقة بتوجهاتها الطائفية ونزعتها الداعية إلى التفوق العنصري: "يؤسر منهم ثلاثة فيأسرون في الكحالة ١٣٠ أو ٩٠ أو ٣٠، كلّ واحد بعشرة؟ هذا العقل الصهيوني، هذا العقل النازي، هذا العقل الفاشيستي، هذا العقل المتفوق الذي يصنّف الناس. ناس أرفع من ناس، وناس أقلّ من ناس. كلا، مرفوض هذا الشيء" (الصدر، ٢٠١٧م، ج١١، ص ٢١٤).

وقد أباح السيد الصدر المقاومة إزاء هذا الفكر؛ لاستحالة التعايش السلمي مع مثل هذه الأفكار الاستعلائية، وفي خضمّ ذلك أشار إلى واقعة عاشوراء معتقداً بأنّ باب الشهادة مفتوح في هذا المجال (انظر: ٢٠١٧م، ج١١، ص ٢١٤). وفي الحقيقة، لا يتأتى السلام باستعلاء بعض الفئات ولا بإذلال بعضها الآخر. ففي الوقت الذي يرى هذا المفكر أنّ طريق التفاهم حول مشاكل المنطقة مفتوح أمام الجميع، يؤكد على أنّ باب الشهادة والانتصار اقتداءً بثورة الإمام الحسين عليه السلام مفتوح ومفيد أيضاً، ومن ثم فهو يرى الأولوية للسلام والتفاهم والصلح، ولكن لو انتهجت فئةٌ ما نحو الكيان الصهيوني سبيل الحرب فقد صرّح بلزوم التصدي لمثل هذا الفكر والاستعداد لمجابهته، سواء في لبنان أم في المناطق المحيطة به.

من هذا المنطلق، انتقد العرب ومواقفهم من الحرب والسلام، فقال: "للأسف ما زال العرب يغضبون بسرعة ويفرحون بسرعة، ويعادون بسرعة ويتصالحون بسرعة. من دواعي الحزن والأسى أنّ هذه الظاهرة القبيحة موجودة في أمتنا" (الصدر، ٢٠١٧م، ج١٢، ص ٢١٣). ولا ريب في أنّ مثل هذه التصرفات ناجمة عن الانفعالات غالباً؛ ولذا

فتحقيق السلام يتوقف على السلوكيات العقلانية، إلى جانب إدراك الظروف المحيطة والأوضاع السائدة، ونبذ التصرفات الانفعالية البعيدة عن العقلانية.

خلاصة البحث والنتائج

يستفاد مما تقدم أنّنا بحاجة إلى مقتضيات وأدوات وإجراءات على صعيدين، الأول الرؤية المعرفية وضرورة إحداث تغيير في هذه الرؤية بما يؤول إلى حدوث التغيير الباطني الذي يؤكد عليه القرآن الكريم، والثاني الممارسات العملية والموضوعية التي تتجلى في الحوار مع الآخر، لأنّ من شأن ذلك إعطاء صورة عن إحلال السلام في المجتمع المتنوع. وكيف كان وفي ضوء المعطيات السابقة، يمكن الحديث عن ثلاثة عوامل أساسية- هي الإنسان والدين والسياسة- بوسعها إرساء دعائم السلام وتعزيز ركائزه إن وضعت في موضعها الصحيح والمناسب، وفي الحقيقة يمكن اختزال الأبحاث المتقدمة في هذه العوامل الثلاثة بما يشكل رؤية متكاملة لتحقق السلام وفقاً للظروف الداخلية والعملية.

وتتجلى أهمية هذه العناصر الثلاثة في المجتمع من خلال حضورها الفاعل في المسيرة الاجتماعية والتحولات الطارئة عليها، وفي حقيقة الأمر تشير هذه الحلول إلى نقطة مهمة هي لزوم تغيير طبيعة النظرة إلى الإنسان والمتوقع من الدين والسياسة ليتسنى إحداث تغييرات مفيدة في المجتمع، أبرز نتائجها تحقق السلام والقضاء على النزاعات. ولا ريب في أنّ هذه الرؤية رؤية معرفية في شطر واسع من أضلاعها، كما أنّها ذات جانب أخلاقي يركز على المضمون الباطني للإنسان، ذلك أنّ تغيير هذا المضمون وطبيعة الرؤية إلى الإنسان وسموّ الوجه الأخلاقي له في المجتمع قد يساعد على إرساء قواعد السلام والحدّ من الصراعات وتسوية النزاعات الجارية. و- كما أشرنا سابقاً- يمكن ملاحظة هذه الوجوه في النظرة إلى الإنسان والدين والسياسة:

كرامة الإنسان: فلا يخفى أنّ الاهتمام بالإنسان والكرامة الإنسانية يمكن أن يساعد على تعزيز فكرة السلام، فيؤدي تجاهل الكرامة الإنسانية إلى ظهور التعصب الطائفي والتمييز العرقي والشعور بالحرمان وغياب العدل والحرية وما إلى ذلك (انظر: الصدر، ٢٠١٧م، ج٦، ص ٢٠٢). وعلى هذا الأساس، فالمساعي منصبّة على القضاء على الحرمان والفوارق الاجتماعية وإقامة العدل من أجل الحفاظ على كرامة الإنسان، وللإمام الصدر بحث مبسوط في هذا المجال.

المتوقع من الدين: ثمّة دور هامّ لرؤية المجتمع لما هو متوقع من الدين حيث يحظى ذلك بأهمية كبيرة على الصعيد الديني؛ إذ يضطلع الدين بدور جوهري في تصحيح الرؤى والأفعال بهدف التقليل من الآلام التي يعاني منها الناس. ومن هنا، لا بدّ من توجيه النظرة الاجتماعية إلى الدين صوب الجهة التي يتمكن معها من إزالة الآلام المادية والمعنوية للإنسان المعاصر وتمهيد الأرضية المناسبة للوحدة والانسجام الاجتماعي. وفي هذا السياق، نجد الإمام موسى الصدر وجّه رسالة إلى الشيخ حسن خالد، مفتي أهل السنة في لبنان، شدد فيها على مستويات عديدة من الوحدة بين أهل السنة والشيعة، وكان لها تأثير كبير في ذلك الوقت (انظر: الصدر، ٢٠٠٤ م)، وذهب إلى كنيسة الآباء الكبوشيين لإلقاء خطبة الصيام ووعظهم بهذه المناسبة (انظر: الصدر، ٢٠٠٥ م).

إنّ الإمام موسى الصدر يرى أنّ جميع الأديان والمذاهب تشترك في الدعوة إلى الله وخدمة البشر، فالدين حسب هذه الرؤية يسعى لتقديم الخدمة للإنسان، ويعمل على إيجاد اللحمة الاجتماعية وتوسيع نطاق العدل في المجتمع، ومن ثم إيجاد الأرضية الملائمة لهذه الخدمة. وبناء على ذلك أطلق هذا الهدف في لبنان بغية التقليل من حرمان الناس والقضاء على التمييز وتحقيق العدل في المجتمع اللبناني، ما يحتّم على المذاهب المختلفة الموجودة هناك التوحد في سبيل بلوغ هذا الهدف (انظر: الأديان في خدمة الإنسان). وفي هذا السياق، اعتبر خدمة الإنسان متقدمة

على الدعوة إلى الله ليتسنى له التأكيد على المناسك العبادية.

السياسة: تحدث الإمام الصدر في هذا المجال عن السبيل إلى تأسيس حكومة سماوية، وفي الوقت الذي أكد على أهمية وجود فِرق مختلفة في لبنان، بل ولزوم ذلك، رفض وجود نظام طائفي لأنّه يفضي إلى النزاع والتناحر؛ ولذا شدد على لزوم إبعاد السياسة عن النظام الطائفي وضرورة عدم الوقوع في هذا المستنقع. وعلى الرغم من أنّه أطلق هذه الرؤية للمجتمع اللبناني يبدو أنّها صالحة للتطبيق على أنظمة المنطقة والنظام العالمي من جهة إمكان تأثيرها الإيجابي في إرساء السلام. ويمكن القول: أينما حلّ النظام الطائفي لا يبقى مجال لتحقيق السلام، سواء في بلد كلبنان أم في النظام الدولي وفي سياق حقّ الفيتو وأمثاله. ومن هذا المنطلق، اعتبر الصدر السلام أكبر مشاكل القرن العشرين، ولا يمكن حلّ هذه الإشكالية إلا من خلال تأسيس حكومة سماوية بمعنى غير طائفية. ومن هنا، فبالوسع تعميم هذه الرؤية على صعيد النظام الدولي والحديث عن نظام دولي سماوي يهتمّ بالإنسان باعتباره عنصراً مشتركاً بين جميع الأديان والشعوب، ويرى أنّ هذا الإنسان يدور مدار السلام، ويسعى جاهداً لتحقيق السلام للبشر.

ومجمل الكلام إنّ هذه العوامل الثلاثة، أي كرامة الإنسان والمتوقع من الدين والسياسة، التي طرحها السيد الصدر للحوار في سياق حكومة سماوية تتوفر فيها الأرضية المناسبة للاحترام المتبادل والثقة المتبادلة يمكن أن يكون لها تأثير كبير على الصعيد العملي؛ ولذا فإنّ القيام ببعض الإجراءات العملية والميدانية ناجع ومفيد بلا ريب، ومن أبرز تلك الإجراءات يمكن الإشارة إلى الحوار المباشر بين الأطراف المتنازعة الذي يعني قبول الاختلاف والتعدد.

وعلى أية حال، فقد دعانا الإمام الصدر إلى التحرك صوب السلام، فقال: "يا أيّها الإخوة! إلى التضحيات، إلى السلام، إلى الوفاق الوطنيّ، إلى القيامة اللبنانيّة والتصدّي لكلّ ما يحول دونها أو يشوّهها أو يخنقها" (الصدر، ٢٠٠٥م، ص ٢٤٨).

المصادر

١. خدا خواه، نسيم. (٢٠١٩). معرفة السلام، ملخصات مقالات المؤتمر الدولي الأول للسلام وحل النزاعات، طهران.

٢. الصدر، السيد موسى. (٢٠٠٤). ناي وني (مترجم إلى الفارسية: علي حجتي كرماني). طهران: مؤسسة الإمام موسى الصدر الثقافية التحقيقية.

٣. الصدر، السيد موسى. (٢٠٠٥). الأديان في خدمة الإنسان (مترجم إلى الفارسية: السيد عطا الله افتخاري). طهران: مؤسسة الإمام موسى الصدر الثقافية التحقيقية.

٤. الصدر، السيد موسى. (٢٠١١). حديث الأسحار: الأحاديث التفسيرية للإمام موسى الصدر (مترجم إلى الفارسية: علي رضا محمودي ومهدي موسوي نجاد). طهران: مؤسسة الإمام موسى الصدر الثقافية التحقيقية.

٥. الصدر، السيد موسى. (٢٠١٢). سفر الشهادة (ترجمه إلى الفارسية: مهدي فرخيان وأحمد ناظم). طهران: مؤسسة الإمام موسى الصدر الثقافية التحقيقية.

٦. الصدر، السيد موسى. (٢٠١٧). خطوة بخطوة مع الإمام: مجموعة كلمات ومقابلات ومقالات للسيد موسى الصدر، الأجزاء ٥، ٦، ٩، ١٠، ١١، ١٢). طهران: مؤسسة الإمام موسى الصدر الثقافية التحقيقية.

٧. عزيز اللهي، فهيمة. (٢٠١٩). المحبة أساس لثقافة السلام برواية جاك دريدا. ملخصات مقالات المؤتمر الدولي الأول للسلام وحل النزاعات، طهران.

٨. لك زائي، شريف. (٢٠١٩). سبل السلام وحل النزاع في آراء الإمام موسى الصدر. ملخصات مقالات المؤتمر الدولي الأول للسلام وحل النزاعات، طهران.

٩. لك زائي، شريف، كيخا، نجمة. (٢٠١٨). السلام من منظار صدر المتألهين الشيرازي، دار طباعة الحكمة الإسلامية. ٥(١)، ص ١٧٩-١٩٨.